(٧١)

الروح الذى اهتز له عرش الرحمن

* ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾

[سورة البينة: الآيات: ١ – ٥]

* * *

obeikandl.com

«النبى ﷺ فى خلوته يتعبد ويتهجد ويناجى ربه، سابح فى تأملاته فى أحوال هؤلاء الكفار والمشركين، من كفر من أهل الكتاب وعصى ما أخبرته به كتبه، ومن ضل وأبعد من المشركين الذين أعرضوا وأمعنوا فى الكفر والضلال.. ها هم يهود بنى قريظة وبنى النضير وبنى قينقاع، لا يقلعون عن عنتهم ويكفرون بما أتت به كتبهم.. وها هى قريش لا تنفك تمعن فى ضلالها وغيها وتحرض القبائل على أن تلحق بها فى إعناتها وطغيانها.. لا ينتهون عن كفرهم، ولا يقلعون عن غيهم، ولا يحيدون عن ضلالهم.. النبى - عليه السلام - فى تأملاته وتحنثه، يتنزل عليه جبريل - عليه السلام - فيوحى إليه من آيات ربه».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [سورة البينة: الآيات: ١ - ٥].

(يرتفع الوحى)

* * *

«النبى – عليه السلام – يسترجع ما لقنه إليه جبريل – عليه السلام، ويذكر فيما يسترجعه أن الوحى لم يرتفع إلاّ وجبريل – عليه السلام – يوصيه بأن الله تعالى يأمره أن يقرئها لصاحبه القارئ العابد المتحنث الزاهد: أبىّ بن كعب.. النبى – عليه السلام – يرسل فى طلب صاحبه أبىّ بن كعب..».

* * *

«النبى – عليه السلام – فى مجلسه، وقد التأم إليه صاحبه أبىّ بن كعب لا يستطيع أن يغالب لهفته وأشواقه لمعرفة ما عساه أن يكون مبعث طلب الرسول – عليه السلام – له فى هذه الساعة.. أبىّ ينظر إلى النبى بعيون ملآنة بالرجاء، ينتظر وقد غلبه الشوق أن يبدأه الرحمة المهداة بما يريد..».

النبى : (والبشر على محياه) يا أبا المنذر، إن الله تعالى أمرنى أن أقرأ عليك ما تنزل من القرآن.. أن أقرئك هذه السورة..

«أبىّ بن كعب يترقب مبهورًا بقلب واجف وقد تلاحقت أنفاسه.. يستكثر على نفسه هذا الفيض الذى به تفيض كلمات الرحمة المهداة..»

أبىّ بن كعب : (مستكثرًا على نفسه) وسمانى لك يا رسول الله؟!

«أبى بن كعب تنثال عبراته تأثرًا..»

أبىّ : (يغالب عبراته) يا رسول الله، بالله آمنت وعلى يدك أسلمت، ومنك تعلمت.. (يستأنف مستكثرًا) يا رسول الله.. وذكرت هناك؟!

النبى : نعم باسمك ونسبك فى الملأ الأعلى.. يا أبا المنذر إن الله تعالى أوحى يقول.. (يتلو): ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [سورة البينة: الآيات: ١ – ٥].

«أبىّ بن كعب تتغشاه القبسات النورانية، وتفيض نفسه بالفرح والسرور.. يقول لنفسه كالمراجع لها: «يا أبا المنذر.. أفرحت بذلك؟!».. يجيب نفسه: «وما الذى يمنعنى، أليس الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة يونس الآيتان: ٥٧ – ٥٨].. أبىّ يمضى كالحالم وقد تغشته الرحمات..»

* * *

«سعد بن معاذ فى الفراش بالخيمة التى ضربت له بالمسجد النبوى إلى دار كعيبة بنت

سعيد الأسلمية، يتداوى فيها من جرحه بقريب من الرحمة المهداة ليعوده عليه السلام ويطمئن عليه.. الجرح يشتد بسعد، وتزداد مع انتفاخه وانفجاره آلامه.. تطوف بسعد ذكرياته يوم أصيب على مشارف الخندق، فيغالب أنينه ويكرر دعاءه الذى بثه يومها إلى ربه..».

سعد بن معاذ : (يدعو ربه بصوت متهدج) اللهم، رب السموات السبع والأرضين السبع، إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقنى لها، فإنه لا قوم أحب إلىّ أن أقاتلهم من قوم كذبوا رسولك وآذوه وأخرجوه.. اللهم إنك قد أقررت عينى من بنى قريظة، فإن كانت الحرب قد وضعت بيننا وبين قريش، فاجعل جرحى هذا لى شهادة واجعل موتى فيه!

* * *

«فى هدأة الليل، سعد بن معاذ مسجى بفراشه، عليه ملاءة بيضاء، تؤذن العلامات البادية باقتراب صعود روحه الطاهرة إلى بارئها.. حوله بعض ذويه ونفر من الأنصار والمهاجرين وقد انثالت العبرات فى حزن صامت.. يدخل النبى - عليه السلام - برفقته أبو بكر وعمر.. يلفى الجثمان المسجى، فتنهمر الأحزان، ولا يستطيع أبو بكر وعمر أن يغالبا نشيجهما.. النبى - عليه السلام - يقترب من الفراش،

فيرفع رأس الشهيد فى رفق ويجعله فى حجره، وتنثال كلماته الحانية..».

النبى : اللهم إن سعدًا قد جاهد فى سبيلك، وصدق رسولك، وقضى الذى عليه، فاقبض روحه بخير ما تقبض فيه أرواح الخلق.

«سعد بن معاذ وقد تسللت إليه كلمات الرحمة المهداة.. يفتح عينيه وعلى محياه طمأنينة وسلام.. ينظر إلى النبى يريد أن يملأ عينيه منه، يغالب السكرات فتنساب كلماته فى صوت واهن..».

سعد بن معاذ : السلام عليك يا رسول الله، أشهد أنك قد وضعت رسالته..

«النبى – عليه السلام – يضع رأس ابن معاذ فى رفق.. يتغشاه الوحى بأن صاحبه مفارق إلى ربه، ويوحى إليه جبريل – عليه السلام – بأنه قد اهتز له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء..».

* * *

«المشهد الجليل من أمام بيت سعد بن معاذ الذى نقل إليه الجثمان من خيمة كعيبة.. المدينة قد خرجت عن بكرة أبيها لوداع الراحل العزيز.. يمضى المشهد فى جلال يتقدمه الرحمة المهداة، حتى بلغ مستقره بالبقيع.. يتعجب حاملو الجثمان من خفة ثقله!!».

حاملو الجثمان : يا رسول الله، سعد رجل جسيم، ومع ذلك لم نر أخف منه!

النبى : إن الملائكة لتحمله.. والذى نفسى بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد واهتز له العرش!

«النبى – عليه السلام – يشارك المسلمين فى وضع الجثمان عند قبره.. يصلى والمسلمون عليه، حتى إذا ما واروه التراب، يقف النبى – عليه السلام – خاشعًا يسبح ثلاثًا، ويسبح المسلمون من ورائه حتى ارتج البقيع بأصوات المسبحين.. يثنى النبى فيكبر ثلاثًا، ويكبر المسلمون من ورائه حتى ارتج البقيع بتكبيرهم..».

بعض المسلمين : يا رسول الله مم سبحت؟.. رأينا لوجهك تغيرًا وسبحت ثلاثًا!

النبى : تضايق علىٍ هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه.. إن للقبر لضمةً لو كان أحد منها ناجيًا لكان صاحبكم سعد بن معاذ.

أحد الأنصار : (ينشد)

وما اهتز عرش الله من موت هالك
سمعنا به إلاّ لسعد أبى عمرو

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة، النبى عليه السلام جالس إلى أصحابه، يدخل أبو ذر الغفارى القادم لتوه من غفار إلى المدينة بأشواقه الحارة إلى النبى عليه السلام.. يندفع أبو ذر بشوقه إلى مجلس الرحمة المهداة، لا يكاد يجلس إلاّ يبادره عليه السلام..».

النبى : أصليت يا أبا ذر؟!

أبو ذر : (وقد ارتج عليه) لا.

النبى : يا أبا ذر، إن للمسجد تحية، وإن تحيته ركعتان، فقم فاركعهما.

«ينهض أبوذر، وينتحى جانبًا يصلى.. يفرغ من صلاته ويعود إلى مجلس النبى – عليه السلام..».

النبى : (حانيًا) يا أبا ذر.. استعذ بالله من شياطين الإنس والجن.

أبو ذر : وهل للإنس من شياطين؟!

النبى : نعم.. يا أبا ذر، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟.. قل لا حول ولا قوة إلا بالله.

أبو ذر : (سائلاً) يا رسول الله فما الصلاة؟

النبى : خير موضوع، فمن شاء أكثر، ومن شاء أقل..

أبو ذر : فما الصيام؟

النبى : فرض مجزئ..

أبو ذر : فما الصدقة؟

النبى : أضعاف مضاعفة، وعند الله مزيد..

أبو ذر : فأى ما أنزل الله عليك أعظم؟

النبى : الله لا إله إلا هو الحى القيوم.

* * *

«المسجد النبوى وقد أرخى الليل سدوله، وأهل الصُّفَّة وفيهم أبو ذر الغفارى نيام فى الركن المخصص لهم بالمسجد، يلازمونه ويبيتون فيه.. النبى عليه السلام يخرج من بيته إلى المسجد،

فيلفى أبا هريرة فيأمره النبى أن يدعو إليه أصحابه..».

«أبو هريرة يطوف بأهل الصُّفَّة، فيوقظهم برفق.. يتجمعون إلى بيت الرحمة المهداة الذى سبقهم إليه.. النبى عليه السلام بانتظارهم وأمامه صحفة فيها صنيع من شعير.. الرسول يضع يده عليها ويعزم على أصحابه من أهل الصفة..».

النبى : خذوا باسم الله.. (مبتسمًا فى حنو) والذى نفس محمد بيده ما أمسى فى آل محمد طعام ليس شيئًا ترونه..

«يقبل أهل الصُّفّة على الطعام والرسول يحادثهم ويرفق بهم، حتى إذا ما انتهوا يأخذون فى الانصراف إلى المسجد لينامو.. أبو ذر يغط فى نوم عميق، ولكن أذنيه تسمعان حفيفًا خفيفًا، يستيقظ فينظر فيرى النبى يتجه من داره إلى قبلة المسجد، فيقف قائمًا يصلى، بينما أبو ذر يتابعه بقلب واجف وجلال وخشوع أخذا عليه كل نفسه.. يسمع النبى يدعو ربه فى تبتل ويقرأ..».

النبى : (يتلو داعيًا) ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سورة المائدة: آية: ١١٨]

«أبو ذر ينتظر حتى يفرغ النبى من صلاته وتهجده، فيقترب منه سائلاً فى شوق وحياء..».

أبو ذر : يا رسول الله، ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أمسيت تركع وتسجد بها!

النبى : فإنى يا أبا ذر سألت الشفاعة فأعطانيها، وهى نائلة إنشاء الله لمن لا يشرك بالله – عز وجل – أحدًا..

* * *

«أواخر السنة الخامسة للهجرة، وأوائل السنة السادسة، فى أعقاب الأحزاب.. وقد بات تطويع القبائل المحيطة بالمدينة غاية بالغة الأهمية.. إن حصار الأحزاب للمدينة قد ترك آثارًا غائرة لابد من إزالتها بالدعوة والهداية، وبالترهيب لمن تحدثه وساوسه وأطماعه.. لا بد من بث السرايا والبعوث إلى القبائل للتعريف والهداية، وللاتفاق والموادعة، والترهيب والتأمين.. تأتى الأخبار بأن بنى بكر بن كلاب بالقُرطاء قد شنفوا لهواجس تلم بهم.. يقر المسلمون على إرسال «بعثة» عليها محمد بن سلمة فى ثلاثين صحابيًا إلى القُرَطاء.. على مسيرة سبع ليال من المدينة، إن رغبوا فى الموادعة فبها، وإن أضمروا الغدر والأذى أُغير عليهم.. البعثة تغادر المدينة لعشر ليالٍ خلون من المحرم للسنة السادسة للهجرة، تشق مسيرتها إلى القرطاء.. يأبى بنو بكر إلاّ أن يشتبكوا مع البعثة، فتنجلى الجولة لصالح المسلمين، فيهرب معظم بنى بكر، بينما يأبى المسلمون أن يعرضوا للطُعن (النساء).. يقع فى الأسر ثمامة بن أثال،

من بنى حنيفة، سيد أهل اليمامة.. حيث تعود البعثة سالمة إلى المدينة..».

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة.. النبى عليه السلام يدعو إليه ثمامة بن أُثال، يقبل الرجل بادى الثقة والخيلاء..».

النبى : ما عندك يا ثمامة؟!

ثمامة : عندى يا محمد خير..

«يهمهم المسلمون ضيقًا من مناداته الرسول باسمه!! يهب بعضهم يريدون الرجل فيكفهم النبى – عليه السلام – بإشارة من يده..».

النبى : (فى حلم وأناة) فما عندك من خير يا ثمامة؟

ثمامة : إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت..

«تعلو همهمات المسلمين!!»

النبى : (بعد أن أطرق برهة) أطلقوا سراح ثمامة..

مسلم : (مرددًا فى دهشة) يطلقون سراحه؟!!..

أبو مسلمة الأنصارى: (مرددًا بنفس الدهشة) نطلق سراحه؟!!

النبى : نعم.. أطلقوا سراح ثمامة، وخلوا بينه وبين ما يريد.

«الصحابة يطلقون ثمامة، فيغادر فرحًا بحريته.. يفوته حتى أن يشكر الرحمة المهداة على ما مَنّ به عليه..».

* * *

«فى الصحراء.. بظاهر المدينة.. ثمامة بن أثال يضرب وحيدًا على غير هدى..».

ثمامة بن أثال : (كالمخاطب نفسه) أمعقول هذا؟!.. أيتركنى محمد بعد أن صرت بين يديه؟!

(مستدركًا فى تساؤل) وبلا فدية ولا شرط..

(مسترجعًا) والذى نفسى بيده ما يصنع صنيعه هذا بشر!! قد عرضت عليه من المال ما يشاء!! ولو طلب منى هذه الأكمة ذهبًا ومالاً لأعطيته!.. لو كان يريد مالاً لأخذ منى ما يريد.. إنه يعلم نسبى ومالى.. ما يصنع هذا بشر!! إنما هو خلق الأنبياء.. لقد رأيت النبوة تشع من جبينه وفى حديثه.. (مستحثًا نفسه) هلم يا ثمامة فاغتسل واذهب لتسلم بين يدى رسول الله..

* * *

«على مشارف المدينة.. ثمامة عائد يسأل من يقابله أين يستطيع أن يجد الرحمة المهداة».

أحد المسلمين : ما عاد بك يا ثمامة، وقد أطلقك رسول الله؟!!!

ثمامة : إنّى بصاحبكم.. والذى نفسى بيده لقد أسرنى بصنيعه.. ما يصنع صنيعه هذا بشر؟..

«المسجد النبوى.. النبى – عليه السلام – فى صحابته، يدخل ثمامة.. ما إن يدخل حتى يبادره النبى عليه السلام..».

النبى : يا ثمامة، ما الذى عاد بك؟

ثمامة : جئت أسلم يا رسول الله.. أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.. (مناديًا فى المسلمين) ألا فاشهدوا يا معشر المهاجرين والأنصار.. ألا إنى أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمدًا رسول الله.. يا نبى الله، والله ما كان على الأرض أبغض إلىَّ من وجهك، وقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلىَّ.. والله ما كان على الأرض من دين أبغض إلى من دينك، وقد أصبح دينك أحب الدين كله إلىَّ.. آمنت يا رسول الله واهتديت..»

«تتصاعد تكبيرات المسلمين..»

* * *

«المدينة ولا يزال ساخنًا لم يندمل جرح المسلمين من قتل أصحاب الرجيع غدرًا فى ذلك اليوم الحزين.. إن أصحاب الرجيع كانوا من خيرة القراء، وإن وَجْدَ المسلمين على عاصم ابن ثابت وخبيب بن عدى ومرثد بن أبى مرثد وزيد بن الدثنة وخالد بن البكير وعبدالله بن طارق لوَجْدٌ غائر شديد، واغترار بنى لحيان بما فعلوه كفيل بتحريضهم وتحريض سواهم على اصطياد المسلمين فى ذهابهم وإيابهم.. ومنازل بنى لحيان تقع فى عُسْفان ويستطيعون منها أن يمارسوا تهديدهم وأذاهم!!».

«النبى ﷺ يتشاور مع الصحابة، فيستقرون على الخروج إلى بنى لحيان.. النبى يخلف على

المدينة ابن أم مكتوم، ويخرج فى نحو مائتى رجل ومعهم عشرون فرسًا.. يظهـرون الاتجاه إلى الشـام حتى لا يكشفوا عن وجهتهم.. يغذون السير فى الصحراء سالكين على غراب: جبل بناحية المدينة إلى الشام، ثـم علـى مخيض، ثـم على البتراء، ثـم يعدلون إلى حيث خرجوا على «بَيْن» ثم على «صُخيرات اليمام»، ثم استقام بهم الطريق على المحجة من طريق مكة، يغذون السير سريعًا حتى أشرفوا على بطن غُرَان: واد على مسافة خمسة أميال من «عُسْفان» حيث مصاب أصحاب الرجيع.. ينهمر على المسلمين نهر الذكريات فى أصحابهم الذين استشهدوا بغدر الخيانة، وجادوا بأرواحهم الزكية ها هنا.. يترحمون عليهم ويدعون لهم.. المسلمون يبحثون عن بنى لحيان فى منازلهم فيجدونهم قد حذروا وهربوا ولاذوا وتمنعوا فى رؤوس الجبال..».

النبى : (لأصحابه) لـو أنّا هبطنا عُسْفـان لرأى أهل مكة أننا جئنا مكة..

الصحابة : (مصادقين) الرأى ما يرى رسول الله..

«تنطلق السرية فتحط فى عسفان، تضرب مضاربهـا، ثـم تبث بعض فرسانهـا إلى «كُراع الغميم» ثم «كَرّا» لتتسامع بهم قريش والأعراب قبل أن يجمعهم النبى عليه السلام ويكر بهم

عائدين إلى المدينة وقد بلغ الخروج غايته مهابةً للإسلام والمسلمين!».

النبى : (داعيًا فى طريق العودة) آيبون تائبون إن شاء الله، لربنا حامدون.. أعوذ بالله من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر فى الأهل والمال والولد..

كعب بن مالك : (ينشد مرتجزًا)

لـو أن بنـى لِحيـان كانوا تناظروا
لقُوا عُصَبًا فى دارهم ذات مَصْدَق
لقوا سَرعـانًا يمـلأ السّـرْب رَوْعُـهُ
أمـام طحـون كالمجـرة فيلـق
ولكنهـم كـانـوا وِبَـارًا تتبعَـتْ
شعـاب حِجَـاز غيْـرِ ذى مُتَنفّقِ

* * *

«المدينة، ولما تمضى سوى أيام قلائل على عودة النبى – عليه السلام – والمسلمين من مسيرتهم إلى بنى لحيان.. النبى – عليه السلام – بالمسجد النبوى فى أصحابه من المهاجرين والأنصار.. يدخل أبو ذر يستأذن الرسول فى الخروج إلى البيضاء – مقابل الربذة، ليرعى اللقاح (الإبل الحوامل) التى هناك..».

النبى : (لأبى ذر ناصحًا) إنى أخاف عليك من هذه الضاحية أن تغير عليك.. ونحن لا نأمن من عيينة بن حصن الفزارى وذويه.. وهى فى طرف من أطرافهم!

أبو ذر : (ملحًا) يا رسول الله، ائذن لى.

«النبى – عليه السلام – صامت لا يجيبه!»

أبوذر : (يعاود إلحافه) يا رسول الله، عزمت عليك أن تأذن لى!

النبى : (محذرًا) كأنى بك يا أبا ذر قد قتل ابنك، وأُخذت امرأتك، وجئت تتوكأ على عصاك!

أبوذر : (راجيًا) ائذن لى يا رسول الله..

«النبى – عليه السلام – ساكت لا يطاوعه قلبه، فيغتنم أبو ذر فرصة سكوته ويولى ماضيًا إلى غايته..».

* * *

«بظاهر المدينة، سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمى، وقد غدا يريد الغابة متوشحًا قوسه ونبله، ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده.. يلاقيهما غلام لعبد الرحمن بن عوف كان فى إبل له، فأخطأ مكانها واهتدى إلى لقاح رسول الله..».

غلام عبد الرحمن بن عوف: (منزعجًا) قد أغارت على اللقاح – خيول لغطفان عليها عيينة بن حصن الفزارى فى نحو أربعين فارسًا!!

سلمة بن الأكوع : ويلك! أتركتموهم؟!

الغلام : لقد رأينا مددًا قادمًا لإمداد عيينة!!

«سلمة بن الأكوع، يطير فيمتطى فرسه، حتى أشرف على ناحية سَلْع وهو يصرخ! واصباحاه!!.. يشتد سلمة فى أثر القوم طامعًا

أن يفرقهم بالنبل عن اللقاح الذى هربوا به.. يرمى سلمة بالنبال التى معه حتى نفدت، فأخذ يكر عائدًا إلى المدينة ليستغيث بالمسلمين.

سلمة بن الأكوع : (صائحًا على مداخل المدينة) واصباحاه، واصباحاه، واصباحاه..

«تطير الاستغاثات فى أرجاء المدينة حتى تصافح أسماع صاحب العزم الأكبر.. يأمر عليه السلام بإطلاق صرخة «الفزع الفزع».. تترامى أصداؤها فى جنبات المدينة، فيطير إليه فرسان المسلمين.. المقداد بن عمرو حليف بنى زهرة، ثم عباد بن بشر، ثم سعد بن زيد.. يلحق بهم أُسيد بن ظهير، وعكّاشة بن محصن، ومحرز بن نضلة، وأبوقتادة الحارث بن ربْعى، وأبوعياش زيد بن الصامت.. النبى – عليه السلام – يؤمر عليهم المقداد بن عمرو..».

النبى : (للمقداد) امض بمن معك حتى تلحقك الخيول، إنا على أثرك..

المقداد بن عمرو : بأبى أنت وأمى يا رسول الله..

النبى : (لأبى عياش مشيرًا إلى فرسه) يا أبا عياش، لو أعطيت هذا الفرس رجلا أفرس منك فلحق بالفوج!

أبوعياش : يا رسول الله، أنا أفرس الناس..

«أبوعياش يطير بفرسه ليثبت قدرته للنبى، بيد أنه يقع بعد خمسين ذراعًا.. أبو عياش يكر عائدًا يقول لنفسه «عجبى لنفسى: يقول

رسول الله لو أعطيته أفرس منك، وأنا أصمم على أنى أفرس الناس!!».. النبى - عليه السلام - يستقبله باسمًا، فيأخذ فرسه ويعطيه إلى معاذ بن ماعص ليطير به مع الطائرين إلى حيث الإغارة التى شنها عيينة بن حصن ومن معه من فرسان غطفان!!».

* * *

«بموضع الغابة، وقد سبق الجميع إلى المغيرين: مُحْرز بن نَضْلة، ويقال له الأخرم، وقمير..».

محرز بن نضلة : (مناديًا فى المغيرين وقد لحق بهم) قفوا يا معشر بنى اللّكيعة (اللئيمة) حتى يلحق بكم مَنْ وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار..

«المغيرون يرتدون إليه، ينتهزون فرصة أنه وصل بمفرده قبل الآخرين، فيحملون عليه حتى قتلوه.. يظهر فى الأفق باقى فرسان المسلمين فى مقدمتهم المقداد بن عمرو وسلمة بن الأكوع، ما إن يراهم المغيرون حتى يلوذوا بالفرار وفرسان المسلمين فى أعقابهم.. سلمة بن الأكوع يلاحقهم بالنبال..».

سلمة بن الأكوع : (وهو يرمى) خذوا وأنا ابن الأكوع.. اليوم يوم الرضّع..

* * *

«بالباحة عند «ذى قرد»، وقد أقبل الرسول عليه السلام فيمن معه من المسلمين بعد أن ترك على المدينة ابن أم مكتوم..».

«ينضم المدد القادم إلى الفرسان، فيلحقون بالمغيرين، يتناوشون بالسيوف، ويتبادلون الرمى بالسهام والنبال.. تتلاحق بطولات المسلمين، فيتمكن أبو قتادة الحارث بن رِبْعى من حبيب ابن عيينة بن حصن شقيق عيينة، فيرديه قتيلاً، ويدرك عكاشة بن محصن – أوبارًا وابنه عمرو ابن أوبار وهما على بعير واحد، فينتظمهما برمح واحد، فيطير المغيرون هربًا وفرارًا مخلفين معظم اللقائح وراءهم، والمسلمون فى أثرهم لا ينون ولا يكلون..».

سلمة بن الأكوع : (للنبى) يا رسول الله، إن القوم عطاش وليس لهم ماء دون أحساء بعيدة عن هنا.. فلو بعثتنى فى مائة رجل استنقذت ما بأيديهم من السرح، وأخذت بأعناق القوم.

النبى : ملكت فَأَسجحْ (قدرت فسهل وأحسن العفو).. (يستأنف) إنهم ليغبقون الآن (يسقون اللبن بالعشى) فى غطفان..

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة، وقد قفل المسلمون مجبورين.. النبى – عليه السلام – فى أصحابه، يدخل عليهم أبو ذر الغفارى بادى الأسف والتردد..».

صحابى : ما خطبك يا أبا ذر؟!

أبوذر : (محزونًا) والله، إنا لفى منزلنا، ولقاح رسول الله قد رُوحت وعُطّفت، وحُلبت غنمتها ونمنا، فلما كان فى الليل أَحدق بنا عُيينة بن حصن الفزارى فى أربعين فارسًا من غطفان، فصاحوا بنا وهم على رؤوسنا، فأشرف لهم ابنى فقتلوه..

«تنثال عبرات أبى ذر.. يغالب نفسه..»

(يستأنف) وكانت معه امرأته وثلاثة نفر فنجوا، وتنحيت عنهم وشغلهم عنى إطلاق عُقُل اللقاح، ثم صاحوا فى أدبارها، فكان آخر العهد بها..

«النبى – عليه السلام – يقبل عليه هو الصحابة يواسونه..».

أحد الصحابة : (معاتبًا فى رفق) لم يأذن لك النبى فى الخروج إلى البيضاء حيث اللقاح – إلا بعد أن ألحفت وألححت.. (يستأنف) ألم يقل لك ﷺ لكأنى بك قد قتل ابنك، وأخذت امرأتك، وجئت تتوكأ على عصاك؟!

أبوذر : (مؤنبًا نفسه) عجبًا لى!!! إن رسول الله يقول لى «كأنى بك»، وأنا ألح عليه!!.. فكان والله ما قال رسول الله!!!

«يطرق أبو ذر محزونًا..»

أبوذر : (بعد برهة يخاطب نفسه معزيًا) صدق والله رسول الله!! إنما يولدون للموت ويعمرون للخراب!!

* * *

«النبى ﷺ فى مجلسه فى المسجد النبوى..

تقبل عليه امرأة أبى ذر، – على ناقة من لقاح

رسول الله نجت عليها، فأخبرت النبى بما كان، ثم انطلقت تسأل..».

امرأة أبى ذر : يا رسول الله، إنى نذرت إن نجَّانى الله على هذه الناقة أن أنحرها فآكل من كبدها وسنامها.

«النبى يتبسم فى إشفاق..»

النبى : (مترفقًا) بئس ما جزيتها أن حملك الله عليها ونجَّاك ثم تنحرينها! إنه لا نذر فى معصية الله ولا فيما لا تملكين، إنما هى ناقة من اللقاح فارجعى إلى أهلك على بركة الله!

* * *

obeikandl.com